حـرف الجيـم

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه

شاهد المعجزة

صحابي، أنصاري، سلمي، كان «جابر» ثمرة زواج أبيه «عبد الله بن عمرو بن حرام» من أمه «نسيبة بنت عقبة»، وهو وحيد والديه من الذكور، وقد شهد مع أبيه وهو صبي بيعة العقبة الثانية التي تم فيها اختيار نقباء الأنصار الاثني عشر، وكان أبوه «عبد الله» واحداً منهم.

وبعد وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجراً، كان «جابر» ووالده حريصين على حضور مجالس رسول الله ﷺ، وقد اختلف في شهوده مع رسول الله ﷺ بدراً وأُحُداً، لكن الخلاف زال لحديث «جابر» الذي رواه أبو الزبير[1] أنه سمع جابراً يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، قال جابر: لم أشهد بدراً ولا أحداً، منعني أبي، فلما قتل يوم أحد، لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط.

وذكر ابن الأثير[2]: وقال الكلبي: شهد جابراً أُحداً، وقيل:

---

(١) أسد الغابة (١/ ٢٩٤)، الإصابة (١/ ٤٣٤)، الاستيعاب (١/ ٢١٨).
(٢) أسد الغابة (١/ ٢٩٤).

شهد مع النبي ﷺ ثمان عشرة غزوة، وشهد «صفِّين» مع «عليّ بن أبي طالب» ﷺ، وعمي في آخر عره، وكان يحفي شاربه، وكان يخضب بالصُّفْرة، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة.

وكان «جابر» أحد المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ، الحافظين للسنن، وقد روى عنه: أبو الزبير المكي، ومحمد بن علي بن الحسين، وعطاء، ومجاهد، وعمرو بن دينار، وسواهم، وبلغ مجموع الأحاديث التي رواها عن رسول الله ﷺ قرابة ١٥٤٠ حديثاً. وكانت له حلقة في المسجد للتدريس.

وذكر ابن الأثير[1]، عن أبي قلابة الرقاشي، أخبرنا أبو ربيعة، أخبرنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**اهتز عرش الرحمٰن لموت سعد بن معاذ**)، فقيل لجابر: إن البراء يقول: اهتز السرير، فقال جابر: كان بين هذين الحيين: الأوس والخزرج ضغائن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**اهتز عرش الرحمٰن**».

قلت: ـ يعني ابن الأثير ـ وجابر أيضاً من الخزرج، حمله دينه على قول الحق والإنكار على من كتمه.

وعشية أحد، دعا «عبد الله بن عمرو بن حرام ابنه (جابراً) من الليل، وقال له: اسمع يا بني، إني لا أُراني إلا مقتولاً في أول من قُتِلَ من أصحاب رسول الله ﷺ، وإني والله، ما أدع أحداً بعد رسول الله ﷺ أعزَّ عليَّ منك، وإن عليَّ ديناً فاقض عني ديني، واستوص بأخواتك خيراً. وكان حدس أبي جابر في محله، فقد كان أول من سقط من الشهداء يوم أحد ـ رحمه الله تعالى.

(١) أسد الغابة (١/ ٢٩٥).

وأخرج الإمام مسلم حديث إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة[١]، الذي رواه الأعمش، عن أبي سفيان قال: سمعت جابراً يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: **(إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)**.

وحديث ميراث الكلالة[٢] الذي رواه سفيان بن عيينة، عن محمد بن المنكدر: سمع جابر بن عبد الله قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر، يعوداني ماشياً، فأغمي عليَّ، فتوضأ، ثم صبَّ عليَّ من وضُوئه، فأفقتُ، قلتُ: يا رسول الله، كيف أقضي في مالي؟ فلم يردَّ عليَّ شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦].

وحديث استحباب لَعْق الأصابع والقصعة[٣] الذي رواه سفيان بن عيينة عن أبي الزبير، عن جابر: أن النبي ﷺ أمر بلعق الأصابع والصَّحْفة، وقال: **(إنكم لا تدرون في أيِّهِ البركةُ)**.

وحديث البركة التي شهدها «جابر» وأهله يوم الخندق[٤] الذي رواه سعيد بن مِنياءَ: قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما حُفِرَ الخندقُ رأيت برسول الله ﷺ خَمَصاً، أي: ـ جُوعاً ـ فانكفأتُ إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيءٌ؟ فإني رأيت رسول الله ﷺ خَمَصاً شديداً، فأخرجتْ لي جراباً فيه صاعٌ من شعير، ولنا بُهَيْمَة داجنٌ، قال: فذبحتُها وطَحَنَتْ، ففرغتْ إلى فراغي فقطَّعتُها في بُرْمَتها، ثم وَلَّيْتُ إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني

(١) صحيح مسلم رقم (١٣٤/ ٨٢).
(٢) صحيح مسلم رقم (٥/ ١٦١٦).
(٣) صحيح مسلم رقم (١٣٣/ ٢٠٣٣).
(٤) رقم (١٤١/ ٢٠٣٩).

برسول الله ﷺ ومن معه. قال: فجئتُه فساررتُه، فقلتُ: يا رسول الله، إنا قد ذبحنا بُهَيْمةٌ لنا، وطحنتْ صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت في نفرٍ معك، فصاح رسول الله ﷺ، وقال: **(يا أهل الخندق! إن جابراً قد صنع لكم سُوراً ـ طعاماً ـ فَحيَّهَلا بكم)**، وقال رسول الله ﷺ: **(لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، ولا تَخبِزُنَّ عجينتكم، حتى أجيء)**، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدمُ الناسَ، حتى جئتُ امرأتي، فقالت: بك وبك، فقلتُ: قد فعلتُ الذي قلتِ لي، فأخرجَتْ له عجينَتَنا، فبصق فيها وبارك، ثم عَمَد إلى بُرْمتنا فبصق فيها وبارك، ثم قال: **(ادعي خابزة فَلْتَخبزْ معك، واقدحي من برمتكم، ولا تنزلوها)** وهم ألفٌ فأُقْسِمُ بالله! لأَكَلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن بُرْمتنا لتغط كما هي، وإن عجينتنا لَتُخْبَزُ كما هي.

وحديث كثرة عطائه ﷺ[1] الذي حدث به ابن أبي عمر (واللفظ له) قال: قال سفيان: سمعت محمد بن المنكدر يقول: سمعت جابر بن عبد الله، قال سفيان: وسمعت أيضاً عمرو بن دينار يحدث عن محمد بن علي، قال: سمعت جابر بن عبد الله، وزاد أحدهما على الآخر قال: قال رسول الله ﷺ: **(لو قد جاءنا مال البحرين، لقد أعطيتك هكذا، وهكذا، وهكذا)**، وقال بيديه جميعاً، فقُبِضَ النبي ﷺ قبل أن يجيء مال البحرين، فَقَدِمَ على أبي بكر بعده، فأمر منادِياً فنادى: من كانت له على النبي ﷺ عدةٌ أو دَيْنٌ فلْيأتِ، فقمتُ فقلتُ: إن النبي ﷺ قال: **(لو قد جاءنا مال البحرين أعطيتُك هكذا وهكذا، وهكذا)** فحثى أبو بكر مرةً، ثم قال لي: عُدَّها، فعددتُها، فإذا هي خمسمائةٍ، فقال: خُذْ مثليها. إن رسول الله ﷺ كان يعطي عطاء من لا يخشى الفَاقة، وقد أعطى رجلاً غنماً ما بين جبلين.

---

(١) صحيح مسلم رقم (٦٠/ ٢٣١٤).

وقد أخرج الإمام أبو عبد الله، أحمد بن حنبل في مسنده عن ابن أبي عمر، أخبرنا بشر بن السري، أخبرنا حماد بن سلمة، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: استغفر لي رسول الله ﷺ ليلة البعير خمساً وعشرين مرة، وكان رسول الله ﷺ قد اشترى من «جابر» بعيراً، فاشترط «جابر» ظهره إلى المدينة، وهما عائدان من إحدى الغزوات، فلما بلغا المدينة أعطاه النبي ﷺ الثمن، ورد إليه البعير، فما أعظم هذا الكرم!

وكان «جابر» يسافر في طلب الحديث، وقد خوله حسن فهمه، وذكاؤه أن يكون من أهل الرواية والدراية، وتوفي عن أربعة وتسعين عاماً، رحمه الله تعالى.

obeikandl.com

جَعْفَرُ بن أبي طالب رضي الله عنه

ذو الجناحين

صحابي، قرشي، هاشمي، أي نجم سطع، وأية ألقاب جمع؟ كان من السابقين للإسلام، وطليعة للمهاجرين الكرام، وخطيبهم أمام «النجاشي» الهمام، وأشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً بالنبي عليه السلام، إنه «جعفر الطيار»، ذو الجناحين، وهو أبو المساكين. أبوه: «أبو طالب بن عبد المطلب» وأمه: «فاطمة بنت أسد»: روى ابن الأثير في موسوعته[1]: [أن أبا طالب رأى النبي ﷺ وعلياً يصليان، وعليٌّ عن يمينه، فقال لجعفر رضي الله عنه: صِلْ جناح ابن عمك، وصَلِّ عني يساره]. تزوج «أسماء بنت عميس» ثم انطلق بها إلى الحبشة مهاجرَيْن، فراراً من أذى قريش ونكالها بالمسلمين، ليعبد الله في أمان، عند ملك لا يُظْلَم على أرضه أحد، فولدت له هناك: «محمداً» و«عبد الله» و«عوناً»، فعاشوا في سعادة وهناء، ومودة وصفاء، تحفهم عناية السماء، بخير دار، مع خير جار. ولكن هذا الحال، لم يسعد أهل الشرك والضلال، ولم يُرْضِ غرور قريش إيذاء المسلمين على أرض مكة، فأجمعت أمرها على ملاحقة من هاجر منهم إلى الحبشة، لتعكِّر أمنهم، وتكدِّر صفوهم، واختارت منها رجلين جَلْدَيْن، وبالهدايا محمَّلَيْن، إلى ملك الحبشة (النجاشي) ليكلماه في طرد المهاجرين من بلاده.

---

(١) أسد الغابة (١/ ٣٢٧).

وقد أخرج ابن هشام في السيرة النبوية[١]، ما كان من أمر المهاجرين، وإلامَ انتهى سعي المشركين؟، قال ابن إسحاق: [فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنُّوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جَلْدَيْن إلى النجاشي، فيردَّهُمْ عليهم، ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم، التي اطمأنوا بها، وأمنوا فيها، فبعثوا «عبد الله بن أبي ربيعة» و«عمرو بن العاص بن وائل»، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته، ثم بعثوهما إليه فيهم.

فقال «أبو طالب» حين رأى ذلك من رأيهم، وما بعثوهما فيه أبياتاً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم، والدفع عنهم:

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفرٌ ... وعمرٌو وأعداء العدو الأقاربُ؟
وهل نالتَ أفْعَالُ النجاشي جعفراً ... وأصحابَه أو عاق ذلك شاغِبُ؟
تعلَّمْ، أبيتَ اللعنَ، أنك ماجدٌ ... كريمٌ فلا يشقى لديك المُجانبُ
تعلَّمْ بأن الله زادك بسطةً ... وأسباب خير كلها بك لازبُ
وأنك فيضٌ ذو سِجَالٍ غزيرةٍ ... ينال الأعادي نفعَها والأقاربُ

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، زوج رسول الله ﷺ، قالت:

لما نزلنا أرض الحبشة، جَاوَرْنا بها خير جار «النجاشي»، أَمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ قريشاً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى «النجاشي» فينا رجلين منهم

(١) السيرة النبوية (١/ ٣٧٠).

جَلْدَيْن، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع «مكة»، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأُدُم[١]، فجمعوا له أُدُماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلَّا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك «عبد الله بن أبي ربيعة» و«عمرو بن العاص»، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلِّما «النجاشيَّ» فيهم، ثم قَدِّما إلى «النجاشي» هداياه، ثم سلاه أن يسلِّمهم إليكما قبل أن يكلِّمهم.

قالت: فخرجا حتى قَدِما على «النجاشيِّ»، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بِطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلِّما «النجاشيَّ»، وقالا لكل بِطريق منهم: إنه قد ضوى[٢] إلى بلد الملك مِنَّا غلمانٌ سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مُبْتَدَعٍ، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بَعَثَنَا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردَّهم إليهم، فإذا كَلَّمْنَا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً[٣]، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهم: نعم، ثم إنهما قدَّما هداياهما إلى «النجاشي»، فقَبِلَها منهما، ثم كلَّماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضَوَى إلى بلدك منا غِلمانٌ سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

---

(١) الأُدُمُ: الجلود، مفردها أديم.
(٢) ضَوى: لَجَأ.
(٣) أعلى بهم عيناً: أبصر بهم.

قالت: ولم يكن شيءٌ أبغضَ إلى «عبد الله بن أبي ربيعة» وعمرو بن العاص» من أن يسمع كلامهم «النجاشيُّ».

قالت: فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك! قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم. قالت: فغضب «النجاشيُّ»، ثم قال: لاها الله، إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يُكادُ قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على مَنْ سواي، حتى أدعُوَهم فأسألهم عَمَّا يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتُهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهما، وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسولُه اجتمعوا، ثم قال بعضُهم لبعضٍ: ما تقولون للرجل إذ جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ، كائناً في ذلك ما هو كائن. فلمَّا جاؤوا، وقد دعا «النجاشيُّ» أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟

قالت: فكان الذي كلمه «جعفر بن أبي طالب» ـ رضوان الله عليه ـ فقال له: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيءُ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحُسْن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش،

وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ قالت: فعَدَّد عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحَرَّمنا ما حَرَّم علينا، وأحلَلْنا ما أحَلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذَّبونا، وفَتَنُونا عن ديننا، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحِلَّ ما كنا نستحلُّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على مَنْ سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أَلَّا نظلم عندك أيها الملك!

قالت: فقال له «النجاشيُّ»: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟. قالت: فقال له «جعفر»: نعم، فقال له: «النجاشيُّ»: فاقرأه عليَّ، قالت: فقرأ عليه صدراً من: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١].

قالت: فبكى، والله، «النجاشيُّ» حتى اخضَلَّت[١] لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم «النجاشيُّ»: إنَّ هذا والذي جاء به «عيسى» ليخرج من مشكاةٍ واحدة، انطلقا، فلا والله، لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادُون.

قالت: فلما خرجا من عنده، قال «عمرو بن العاص»: والله! لآتينَّه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم[٢].

قالت: فقال له «عبد الله بن أبي ربيعة»، وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل، فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله، لأخبرنه أنهم يزعمون أن «عيسى بن مريم» عبد.

---

(١) اخضَلَّت: بَلَّتْها الدموع.
(٢) خضراءهم: شجرتهم التي تفرعوا منها.

قالت: ثم غدا عليه من الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في «عيسى بن مريم» قولاً عظيماً، فأرسل إليهم، فسلهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه، ولم ينزل بنا مثلُها قط. فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في «عيسى بن مريم» إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله، ما قال الله، وما جاءنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن، قالت: فلما دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون في «عيسى بن مريم؟ قالت: فقال «جعفر بن أبي طالب»: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ، يقول: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمتُهُ إلى «مريم» العذراء البتول. قالت: فضرب «النجاشيُّ» بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: والله، ما عدا «عيسى بن مريم» ما قلت هذا العود.

قالت: فتناخرت[1] بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شُيُومٌ[2] بأرضي، من سَبَّكم غَرِم، ثم قال: من سَبَّكم غَرِم، ثم قال: من سَبَّكم غرم، ما أُحبُّ أن لي دَبْراً من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم.

قال ابن هشام: ويقال: دَبْراً من ذهب، ويقال: فأنتم سيوم، والدَّبْرُ: (بلسان الحبشة) الجبل ـ ردُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله، ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليَّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه.

قالت: فخرجا من عنده مقبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار.

---

(١) تناخروا: صوَّتوا بخياشيمهم.
(٢) شُيُوم: آمنون.

قالت: فوالله، إنا لعلى ذلك، إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه في ملكه، قالت: فوالله، ما علمتُنا حَزِنَّا حزناً قط كان أشدَّ علينا من حزنٍ حزنَّاه عند ذلك، تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل على «النجاشيِّ»، فيأتي رجلٌ لا يعرف من حقنا ما كان «النجاشيُّ» يعرف منه.

قالت: وسار إليه «النجاشيُّ» وبينهما عرضُ النيل[١]، قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ وعلى آله: من رجلٌ يخرج حتى يحضر وقيعة القوم، ثم يأتينا بالخبر؟. قالت: فقال «الزبير بن العوَّام»: أنا، قالوا: أنت؟ وكان من أحدث القوم سِنَّاً، قالت: فنفخوا له قِرْبةً، فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: فدعونا الله تعالى للنجاشيِّ بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، قالت: فوالله، إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائنٌ، إذ طلع «الزبير» وهو يسعى، فلمع[٢] بثوبه، وهو يقول: ألا أبشروا، فقد ظفر «النجاشيُّ»، وأهلك الله عدوه، ومكَّن له في بلاده.

قالت: فوالله، ما علمتنا فرحنا فرحةً قط مثلها. قالت: ورجع «النجاشيُّ»، وقد أهلك الله عدوه، ومكَّن له في بلاده، واستوسق[٣] عليه أمر الحبشة، فكنَّا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة].

---

(١) عُرْضُ النيل: وَسَطُه.
(٢) لمع: أشار.
(٣) استوسق: اجتمع واستمر.

وقفل المهاجرون مع خطيبهم «جعفر بن أبي طالب» من الحبشة، عائدين إلى المدينة، فأُخبِروا حين وصولهم إليها أن رسول الله ﷺ في خيبر، فلحقوا به، وقد روى ابن الأثير في أسد الغابة[١]: [عن عبد الله ـ بن جعفر ـ وأبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، وكان رسول الله ﷺ يسميه: «أبا المساكين»، وكان أسَنَّ من «عليٍّ» بعشر سنين، وأخوه «عقيل» أسَنُّ منه بعشر سنين، وأخوهم «طالب» أسَنُّ من «عقيل» بعشر سنين، ولما هاجر إلى الحبشة أقام بها عند «النجاشيِّ» إلى أن قدم على رسول الله ﷺ حين فتح «خيبر» فتلقاه رسول الله ﷺ واعتنقه، وقبَّل بين عينيه، وقال: **(ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟)**، وأنزله رسول الله ﷺ إلى جنب المسجد[٢].

وأضاف ابن الأثير: أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله، وغير واحد، قالوا بإسنادهم إلى أبي عيسى، قال: حدثنا محمد بن بشار، أخبرنا عبد الوهاب الثقفي، أخبرنا خالد الحَذَّاء، عن عكرمة، عن أبي هريرة، قال: ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا، ولا ركب الكُور بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر[٣]].

وبكى «جعفرٌ» شهداء المسلمين في (بدر) و«أحد»، وترحَّم عليهم، وأسف على ما فاته من الخير لغيابه عن تلك المشاهد التي منعه وجوده في الحبشة من حضورها، وراح ينتظر أية غزوة ضد أعداء الله حتى يعوض الثواب الذي أضاع، ذلك أن شوقه إلى الجنة أخذ يغلي في صدره، ولم يطل به الانتظار حتى أعلن رسول الله ﷺ

(١) أسد الغابة (١/ ٣٢٨).
(٢) الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٤٦٩ ـ ١٤٧٠).
(٣) الترمذي (٣٧٦٤).

عن عزمه على تجهيز جيش لقتال الروم في مؤتة، واستكمل إعداد جند الله، وكانت عدتهم ثلاثة آلاف، ولأول مرة جعل رسول الله ﷺ لهذا الجيش ثلاثة أمراء حيث قال: **(عليكم زيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة)**.

وخرج الأمراء الثلاثة بجندهم على بركة الله، يشيعهم رسول الله ﷺ ويدعو لهم والمسلمون بالنصر، وكانت المفاجأة!.

لقد وجد المسلمون الثلاثة آلاف أنفسهم وجهاً لوجه - حين بلغوا مؤتة - أمام مائتي ألف من الروم ومن انضم إليهم من القبائل المستعربة، فماذا يفعلون؟ قال بعضهم: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا، فإمَّا أن يمدَّنا برجال، وإمَّا أن يأمرنا بأمره، فنمضي له، ولكن «عبد الله بن رواحة» شجَّعهم بقوله: يا قوم، والله، إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلِقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور، وإما شهادة، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، ثم مضى الناس.

ودارت رحى المعركة، وتقدم الأمير الأول «زيد بن حارثة» براية رسول الله ﷺ، واستبسل في القتال، أيَّما استبسال، ثم تناوشته رماح القوم وسيوفهم فسقط شهيداً، وهَبَّ «جعفر» الأمير الثاني، فانتزع الراية من يده، ثم اقتحم عن فرس له شقراء، فعقرها، فكان أول من عقر في الإسلام، وأبلىَ أحسن البلاء حتى جاءته ضربة فقد فيها يُمْناهُ، ثم حَوَّل الراية إلى شماله، ولم يلبث أن تلقَّى ضربة ذهبت بيسراه، فاعتنق الراية بعضديه، وراح يقول:

يا حَبَّذا الجنةُ واقترابُها ... طيبةٌ وباردٌ شرابُها

والـروم روم قـد دنـا عـذابـهـا كـافـرةٌ بـعـيـدة أنـسـابـهـا
عـلـيَّ إذ لاقـيـتـهـا ضِـرابُـهـا

ولم يلبث حتى لحق بأخيه «زيد» وانضم إلى ركب الشهداء، فبادر إليه الأمير الثالث «عبد الله بن رواحة» واختطف الراية من بين عضديه، وراح يقاتل قتال مشتاق إلى الجنة، ثم سقط إلى جانب أخويه «زيد» و«جعفر» وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة الفوز، وكأنه يقول: لقد خرجنا معاً وعزَّ عليَّ فراقكما، فلم آلُ حتى أدركت الذي أدركتما! رحمهم الله تعالى. وفي المدينة، صَعِدَ رسول الله ﷺ المنبر، ونعى الأمراء الثلاثة، واستغفر لهم، فقد بلغه الوحي بما جرى. وقد أخرج الإمام الترمذي حديث أبي هريرة قال[١]: قال رسول الله ﷺ: **(رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة)**.

وكذلك ما رواه عليّ بن أبي طالب: أن النبي ﷺ قال: **(وأما أنت يا جعفر فأشبهت خَلْقي وخُلُقي، وأنت من عِتْرَتي التي أنا منها)**[٢].

ولما علم المساكين باستشهاد «جعفر» بكوه أحَرَّ البكاء، ذلك أنهم قد فقدوا فيه الكافل والمعيل، والأب الشفيق، فقد كان رسول الله ﷺ يسميه (أبا المساكين) كما تقدم آنفاً.

وأخرج ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق[٣] قال: [لما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ فيما بلغني: **(أخذ الراية «زيد بن حارثة» فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم أخذها «جعفر» فقاتل بها حتى**

(١) الترمذي (٣٧٦٣).
(٢) الترمذي (٣٧٦٥) والإمام أحمد في المسند (١/ ٩٨)، والبيهقي في سننه الكبرى (٨/ ٥).
(٣) ابن هشام (٤/ ٢٨).

قتل شهيداً)، قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في «عبد الله بن رواحة» بعض ما يكرهون، ثم قال: **(ثم أخذها «عبد الله بن رواحة» فقاتل بها حتى قتل شهيداً)**، ثم قال: **(لقد رفعوا إليَّ في الجنة، فيما يرى النائم، على سُرُرٍ من ذهب، فرأيت في سرير «عبد الله بن رواحة إزوراراً[1] عن سريريْ صاحبيه)**. فقلت: **(عَمَّ هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردد «عبد الله» بعض التردد، ثم مضى)**.

وعن أسماء بنت عميس[2]، قالت: [لما أصيب جعفر وأصحابه، دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد دبغتُ أربعين مناً[3] ـ قال ابن هشام: ويروى أربعين منيئة ـ وعجنت عجيني، وغسلتُ بنيَّ ودهنتهم ونظفتهم، قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: **(ائتيني ببني جعفر)**. قالت: فأتيته بهم، فتشمَّمهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: **(نعم، أصيبوا هذا اليوم)**، قالت: فقمت أصيح، واجتمعت إليَّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: **(لا تُفضِلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم)**]. وكان «عمر بن الخطاب» إذا رأى «عبد الله بن جعفر، قال: السلام عليك يا بن ذي الجناحين، ودخلت «فاطمة» على «أسماء» وهي تبكي وتقول: واعَمَّاه، فقال النبي ﷺ: **(على مثل جعفر فلتبك البواكي)**، وكان مصرعه عن إحدى وأربعين سنة، رحمه الله تعالى.

---

(١) ازوراراً: ميلاً وعوجاً.
(٢) ابن هشام (٤/٢٨).
(٣) مَنًّا: رطلاً من دباغ.

جُلَيْبِيبٌ رضي الله عنه

الذي أرسل سبعة إلى النار

صحابي، أنصاري، كان قصيراً، دميم الوجه، تعلق قلبه برسول الله ﷺ بعد إسلامه، فأصبح ملازماً له، حتى ما يكاد يفارقه، وأصبحت له مكانة عند رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٣].

وقال رسول الله ﷺ: **(إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)**، ذلك أن الصور والأموال من شؤون الدنيا، أما القلوب والأعمال فمن شؤون الآخرة، والناس تختلف نظراتهم ومقاييسهم عن نظرات الله ورسوله ﷺ ومقاييس الله ورسوله ﷺ، فالناس يهتمون بالمظهر، والله ورسوله، لا اعتبار عندهما إلا الجوهر، ذلك أن الدنيا لو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة ماء، ولهذا وجَّه رسول الله ﷺ كل همه إلى الآخرة، لأنَّ الدنيا دار فناء، والآخرة دار البقاء، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضحى: ٤]. والعاقل من اتخذ الدنيا دار مَمَرٍّ، وعمل للآخرة دارِ المَقَرِّ.

وظَنَّ «جُلَيْبيب» أن دمامته تحول بينه وبين حقه في الزواج الذي شرعه الله للعباد، ليحصنهم من الفساد.

ففي الحديث الذي رواه أبو يعلى[1] عن أنس رضي الله عنه قال: كان

---

(١) أبو يعلى (٦/ ٨٩).

رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له: «جُلَيْبيب» في وجهه دمامة، فَعَرَضَ عليه رسول الله ﷺ التزويج، قال: إذَنْ تَجِدَني كاسداً، فقال: **(غير أنك عند الله لستَ بكاسد)**.

ما أعظم الإسلام! كم رفع وضيعاً، ووضَعَ رفيعاً، وقد قيل: إن عبد الله بن مسعود، كان يرعى الغنم لرجل من قريش، وكان نحيفاً قصيراً يكاد الجالِسُ يوازيه طولاً، وهو قائم، وله ساقان ناحلتان دقيقتان، صَعِدَ بهما يوماً على شجرة يجتني منها أراكاً لرسول الله ﷺ فرأى أصحاب رسول الله ﷺ دقَّتَهُمَا فضحكوا، فقال رسول الله ﷺ: **(تضحكون من ساقي ابن مسعود؟ لهما أثقل في الميزان عند الله من جبل أحد)**. تلك هي نظرة الإسلام، وذلك هو مقياسه. وقد جاء في موسوعة ابن الأثير[١] في ترجمة «جُلَيْبيب»: [له ذكر في حديث أبي برزة الأسلمي في إنكاح رسول الله ﷺ ابنة رجل من الأنصار، فكأن الأنصاري أبا الجارية وامرأته كرها ذلك، فسمعت الجارية بما أراد رسول الله ﷺ فتلت قول الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقالت: رضيتُ وسَلَّمتُ لما يرضى لي به رسول الله ﷺ، فدعا لها رسول الله ﷺ، وقال: **(اللَّهمَّ، اصْبُبْ عليها الخير صَبّاً، ولا تجعل عيشها كدّاً)** فكانت من أكثر الأنصار نفقة ومالاً[٢]. ولم يكن «جليبيب» يملك رصيداً من المال والمتاع، وليس بذي حسب وجاه، ولكن كان له رصيد كبير من ذكر الله، وتلاوة كِتابه، والصيام والصلاة والصدقة، مما حدا برسول الله ﷺ إلى محبته وتقريبه، واصطحابه إذا غزا، وجاء في حديث أبي برزة:

---

(١) أسد الغابة (١/ ٣٣٤).

(٢) الإمام أحمد في المسند (٤/ ٤٢٢)، والإصابة (١/ ٤٩٥).

أن النبي ﷺ كان في مَغْزًى له، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: (**هل تفقِدون من أحد؟**) قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً وفلاناً، ثم قال: (**هل تفقدون من أحد؟**) قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً وفلاناً، ثم قال: (**هل تفقدون من أحد؟**) قالوا: لا، قال: (**لكني أفقِد جُلَيْبيباً، فاطلبوه**)، فطُلِبَ في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه فقال: (**قتل سبعة، ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه**) قال: فوضعه على ساعديه، ليس له إلا ساعد النبي ﷺ، قال: فَحُفِر له ووُضِعَ في قبره، ولم يذكر غَسْلاً[1]، لقد عوضه الله عن زوجه جنة، له فيها ما شاء من الحور العين. رحمه الله تعالى.

(١) صحيح مسلم برقم (١٣١ / ٢٤٧٢) والاستيعاب (١/ ٢٧١).